بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ دينَ الإسلامِ دينٌ جمعَ الخيرَ كلَّه والفضلَ أجمعَه، فما أُمِرَ أهلُ الإسلامِ بشيءٍ إلا وفيه فلاحُهم وسعادتُهم ورِفْعتُهم في الدنيا والآخرةِ، ولا نُهوا عن شيءٍ إلا لما فيه من الأضرارِ والأخطار والعواقبِ الوخيمةِ في الدنيا والآخرةِ، فاللهمَّ لك الحمد شُكْرًا ولك المنُّ فضلاً ولك الحَمْدُ إلهَنا على أنْ هديتَنا للإسلامِ ووفقْتَنا للإيمانِ وجعلتَنا من عبادِك المسلمين.

و الإسلام فيه حُسْنُ المعاملةِ بين العبدِ وبين ربِّه، وفيه حُسْنُ المعاملةِ بين العبدِ وبين العبادِ، فهو دينُ الإحسان، وهو دينُ الرَّحمة، وهو دينُ الكرَم، وهو دينُ الفضيلة، وهو دينٌ يَنْأَى بأهلِهِ وأتباعِهِ عن كلِّ خُلُقٍ ذميم وتصرفٍ مَشين وأخلاقٍ سَيئة؛ دينٌ بُعِثَ به محمدٌ ﷺ لِينْهَضَ بالناسِ في تعاملاتِهِم وآدابِهم وأخلاقِهِم وجميعِ شؤونِهم، فها هو نبيُّ الإسلام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعلنُ ذلك واضحًا جليًّا فيقول ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[1]، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»[2]، وسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[3]، والأحاديثُ عنه صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه في هذا البابِ كثيرةٌ متعددة.

ولقد جاء عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نصوصٌ كثيرةٌ معدودةٌ عند أهلِ العلمِ في باب الآدابِ الكاملةِ والأخلاقِ الفاضلةِ التي تُهَذِّبُ النُّفوسَ

(١) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٧٨٢) عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٥).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) عن جابر، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٧٩١).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)؛ وابن ماجه (٤٢٤٦) عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٧٧).

وتُصحِّحُ المسار وتُحسِّنُ التعاملَ بين عباد اللهِ؛ فالموفَّقُ من عباد اللهِ مَن أكرمَه اللهُ جلَّ وعلا بالتحلِّي بأخلاقِ الشريعة وآدابِها الفاضلة وتوجيهاتِها الكاملة التي فيها سعادةُ الناسِ وفلاحُهم في الدنيا الآخرةِ.

وبابُ الحقوقِ بابٌ مباركٌ عظيم جاءت الشريعة فوضعتِ الأمورَ في نصابِها والتعاملاتِ في مواضعِها وجاءت بإعطاءِ كلِّ ذي حقٍ حقَّهُ، فليس في شريعةِ الإسلامِ حقوقٌ تُضيَّعُ أو واجباتٌ تُهدَر إلا مِمَن ضعُفَ دينُهم ورقَّ إسلامُهم وضعُفَتْ صلتُهم بربِّهم جلَّ وعلا، أمَّا مَنْ كان مُحافِظًا على دينِهِ، مُشْفِقًا من ربِّه جلَّ وعلا، مُجاهِدًا نفسَه على تحقيقِ إسلامِهِ فإنه من أعظمِ النَّاسِ حفظًا لهذه الحقوق ورعايةً لها.

والحقوقُ في الإسلامِ كثيرة ومنها: حقوقُ العُمَّالِ على مَن أكرمَهم الله عزَّ وجلَّ بغنًى ومالٍ فأصبح تحت يدِهِ عُمَّالٌ وخَدَمٌ يستعمِلُهم في مصالحَ مُتعددةٍ وشؤونٍ متنوعة، فجاءت الشريعةُ في هذا البابِ العظيمِ مُهَذِّبَةً للأخلاقِ مُوجِّهَةً الأغنياءَ لحُسْنِ التعاملِ والتأدبِ بالآدابِ الكاملةِ.

وأعظمُ ما ينبغي مراعاته في هذا الباب: التعاملُ مع هؤلاء برحمةِ الإسلامِ، فإنَّ مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[4]، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[5] أي: مَن لا يَرحم عبادَ اللهِ لا يَظْفَرُ ولا يفوزُ برحمة اللهِ جلَّ وعلا، والجزاءُ من جنسِ العملِ؛ فمَنْ رَحِمَ عبادَ اللهِ رَحِمَهُ الله، ومَنْ لم يَرْحمْهم لم يَفُزْ برحمة اللهِ جلَّ وعلا.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)؛ والترمذي (١٩٢٤) عن عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٥).
(٥) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)؛ ومسلم (٢٣١٨) عن أبي هريرة.

ومن الواجباتِ في هذا المقام: الحذرُ الشديدُ من الظُلم؛ فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة، والواجبُ على الأغنياءِ وأهلِ اليَسار أنْ يتَّقوا دعوةَ المظلومِ فإنَّه ليس بينها وبين اللهِ حِجاب، وفي الحديثِ – حديثِ عبد الله بن أُنيسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال ﷺ: «يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ – أَوْ قَالَ: النَّاسَ – عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا، قَالَ: قُلْنَا: مَا بُهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ» أي: إنْ كانوا ذا تجارةٍ فليس معهم من تجارتِهم شيءٌ، وإنْ كانوا ذا مالٍ فليس معهم من المالِ شيءٌ «ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَعِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةَ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ ذَا وَإِنَّمَا نَأْتِي اللهَ غُرْلًا بُهْمًا؟! قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»[6]، ويوضِّحُ ذلكم الحديثُ الآخرُ – المشهورُ عند أهلِ العلمِ بحديثِ المفْلسِ – قال ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[7].

إنَّ العاقلَ الحصيفَ المنْصِفَ مع نفسِهِ المريدَ لسعادتِها في الدنيا والآخرةِ يُحاذِرُ أشدَّ الحذرِ من أنْ يكون من المفْلِسين يومَ القيامةِ، ولا يستغلَّ قُدْرتَه على العُمَّالِ وقوَّتَهُ وتَمَكُّنَهُ من تضييعِ حقوقِهم أنْ يُضيِّعَ حقوقَهم؛ فإنَّ ما ضاعَ من الحقوقِ في الدنيا لا يضيعُ يومَ

(٦) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)؛ وأحمد (١٦٠٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٧٠/ ٥٧٠).
(٧) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

القيامةِ، وفي الحديث يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»[٨] فمَن كان هذا شأنه فربُّ العالمين جلَّ وعلا هو خصْمُه يوم القيامةِ، ومَن كان خصمه اللهُ فما أعظمَ خسرانَه وما أشدَّ هوانَه !! وفي الحديث يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ»[٩].

إنَّ شريعةَ الإسلام جاءت بما يُتَمِّمُ أحوالَ الناسِ ويُحقِق المصالحَ بينهم، وكلنا يعلم أنَّ الغنيَّ بحاجةٍ إلى الفقير وأنَّ الفقيرَ بحاجةٍ إلى الغنيِّ والله سبحانه وتعالى جعل الناس بهذه الصِّفةِ كلٌّ يحتاج الآخر، فإذا قام كلٌّ بحقِّه وواجِبِهِ وأدَّى رسالتَه كما ينبغي تحققتْ السعادة وتحقق الائتلافُ واجتمعت القلوبُ على أتم حالٍ وأحسنِ مقامٍ، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[١٠]؛ وهذا المعنى السامي ليس مُختصًّا بطبقةٍ من الناسِ بل يشملُ جميعَ طبقاتِ النَّاسِ: الأغنياءَ والفقراءَ، الأصحاءَ والمرضى، يتناولُهمْ ذلك أجمعين. فالواجبُ أنْ يتعايشَ الناسُ أهلُ الإسلامِ في ضوءِ هذه التوجيهاتِ المباركةِ والآدابِ الكريمةِ التي تحقِّقُ المصلحةَ للجميع، وتأمَّلْ في هذا المقامِ قولَ نبيِّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ» أي أكرمكم ومَنَّ عليكم بأنْ جعل لكم منهم خَدَمًا، وعُمَّالاً، وأُناسًا تستعملونهم في مصالحَ متنوعةً، قال ﷺ: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ

(٨) أخرجه البخاري (٢٢٢٧) عن أبي هريرة.
(٩) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٣) عن عبد الله بن عمر، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٤٩٨).
(١٠) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير.

يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[١١].

فهذه رحمةُ الإسلامِ وهذا شعارُه المباركُ العظيمُ، فلنعملْ على تحقيقِ إسلامِنا والنُّهوضِ بأخلاقِنا وآدابِنا راجينَ بذلك رحمةَ ربِّنا جلَّ وعلا.

وبابُ حفظِ الحقوقِ بابٌ مباركٌ تترتَّبُ عليه خيراتٌ متنوعة وآثارٌ مُباركةٌ يفوزُ بها مَنْ قام بهذه الحقوقِ في دُنياهُ وأُخراهُ، ومن ذلكم:

أنَّ القيامَ بحقوقِ العُمَّالِ وغيرها من الحقوقِ التي أوجبَها الله تبارك وتعالى يترتَّبُ على ذلكم من المصالحِ والمنافعِ والخيراتِ: تيسُّرُ الأرزاقِ، وانشراحُ الصُّدورِ، وتيسُّرُ الأمورِ، والعونَ والتوفيقَ والتسديدَ من ربِّ العالمينَ، ويترتَّب على ذلك إجابةُ الدُّعاءِ وتحقيقُ الرَّجاءِ، إلى غير ذلِكم من المصالحِ.

وتأمَّلْ في هذا ذِكرَ النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لقصةِ النَّفَرِ الثلاثةِ الذين أَطبقَتْ عليهم صخرةٌ في غارٍ فتوسَّل كلُّ واحدٍ من هؤلاءِ بقيامِهِ بالحقوقِ؛ أمَّا أحدُهم فتوسَّل إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بقيامِهِ بحقِّ والديهِ، وأمَّا الثاني فتوسَّل إلى اللهِ جل وعلا بقيامِهِ بحقِّ حِفظِ الأعراضِ وعدمِ انتهاكِها، وأمَّا الثالثَ فتوسَّل إلى الله عزَّ وجلَّ بتوفيتِهِ للأجيرِ أجرَهُ بعد أنْ نمَّاهُ، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في تمامِ الحديثِ: «فَانْفَرَجَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ»[١٢]؛ فانفراجُ الصخرةِ في هذا الحديث دلالةٌ بيِّنةٌ على تيسُّرِ الأمورِ وانفراجِ الخيرِ وأبوابِه وانفتاحِهِ في أبوابِ المحسنين القائمين بالحقوقِ على وجهِها المتمِّمين لها كما أمر اللهُ جلَّ وعلا عبادَه بذلك، فهذا من أعظم الوسائلِ المقرِّبةِ إلى الله جلَّ وعلا والمكْسِبةِ رضاهُ.

(١١) أخرجه البخاري (٣٠) عن أبي ذر.
(١٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)؛ ومسلم (٢٧٤٣) عن عبد الله بن عمر.

حقوق العمال

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار المحجة

شارك في الدعوة إلى الله بنشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية